كـتاب العـدد

العلم والثقافة والتربية
رهانات إستراتيجية للتنمية

تأليف: أ. د. الغالي أحرشاو

مراجعة: أ. د. جيلالي بوحمامة

الناشر: مجلة علوم التربية، الرباط، 2005

عدد الصفحات: 174

مدخل عام:

يتناول هذا الكتاب بالبحث والمناقشة مجموعة من القضايا المركزية المتعلقة بمجالات العلم والثقافة والتربية في الوطن العربي. ومن أجل التعرف على خصائص ومظاهر وخبايا هذه المجالات في المشروع الحضاري العربي تسلح المؤلف بأسلوب الاستنطاق الموضوعي التقويمي للتوغل في عمق الإشكاليات والقضايا المرتبطة بهذه المجالات، والتي شكلت في مجملها مضمون هذا الكتاب.

والكتاب الذي نقدمه للقارئ يقع في مائة وأربع وسبعين صفحة من القطع المتوسط، قسمه المؤلف إلى ثلاثة أقسام مركزية، وزعها باقتدار على مجموعة من المحاور المرتبطة بكل مجال من المجالات الثلاثة شكلت محتوى فصوله الاثني عشر.

القسم الأول - مكانة العلم والبحث العلمي في الوطن العربي:

تصدى الباحث في هذا القسم لمكانة العلم والبحث العلمي في الوطن العربي للوقوف على العلم الحديث في المشروع الحضاري العربي، وتحديد مقومات وخصائص علوم الإنسان في الوطن العربي مع الإشارة إلى معوقاتها وآفاقها، ومن ثم اقتراح بعض الحلول المناسبة لعلاجها. كما يعرض هذا القسم إلى الثورة المعرفية وإشكالية السيكولوجيا في الوطن العربي. وقد احتوى هذا القسم على ثلاثة فصول نوجز محتوياتها كما يلي:

الفصل الأول - دلالة العلم الحديث في المشروع الحضاري العربي:

يحفل هذا الفصل بالوقائع والآراء والأفكار التي تجسد وتشخص موقع العلم الحديث في تحقيق بعض مظاهر المشروع الحضاري العربي المنشود، وقد تم توزيع مضامين هذا الفصل إلى ثلاثة مستويات تعرضت بالدرس والمناقشة لواقع العلم الحديث في هذا المشروع المنشود:

1. مستوى التأسيس والممارسة: يرى الباحث أن مقومات العلم الحديث وإجراءاته الأساسية لم تترسخ بعد في المنطقة العربية بسبب ابتعاد الجامعة وعزلتها عن الواقع الاجتماعي، وعجزها عن تسخير وتوظيف العلم في معالجة القضايا المعاصرة للإنسان العربي، وكذلك بسبب افتقار الدول العربية إلى قاعدة علمية تؤهلها لملاءمة التكنولوجيا العلمية مع حاجيات البيئات المحلية، مما أدى إلى ضعف استيعابها لمضامينها ومواكبة تطوراتها المتسارعة والمتنامية. ويخلص الباحث إلى نتيجة مؤداها أن العلم أداة للتقدم الحضاري لا تزال بعيدة المنال في ظل غياب القدرة على ترسيخ مقومات العلم الحديث في الوطن العربي.
2. مستوى التأصيل والتوظيف: أما على مستوى التأصيل والتوظيف فيذهب الباحث إلى أن الدول العربية لم تنجح في إعداد الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية لتأصيل العلم الحديث وتسخيره في التقدم الحضاري المرغوب. ومن الأفكار والحلول التي

من شأنها أن تساعد على تأصيل العلم الحديث وتطوير أبعاده ومضامينه يرى الكاتب ضرورة انتهاج سياسة علمية واضحة للتوغل إلى أعماق العلم بغية تحقيق التقدم الحضاري المطلوب عن طريق الإفساح في المجال للذهنية العلمية الإنتاجية المتسلحة بالعقل العلمي وتجاوز العقلية الاستهلاكية التواكلية المتقوقعة على ذاتها.

3. مستوى العوائق والحلول، يقر الباحث بوجود عدد من العوائق والصعوبات التي تواجه السياسة العلمية العربية، ويقترح تجاوزها من خلال نهج خطة علمية مضبوطة تديرها إرادة سياسية حازمة في قراراتها واختياراتها لتؤهل المجتمع العربي لاحتواء العلم الحديث واستيعاب مضامينه وإنشاء المؤسسات العلمية التي ترجح العقلية العلمية الإنتاجية على العقلية الخرافية المستهلكة، وهذا هو السبيل الذي من شأنه أن يدخل الإنسان العربي في عالم المعرفة الحقة التي أضحت ودون منازع الرهان الفعلي لكل تقدم حضاري.

الفصل الثاني. مقومات وخصائص علوم الإنسان في الوطن العربي:

يعالج هذا الفصل مسائل جوهرية تتمثل في دلالة علوم الإنسان في الوطن العربي ومقوماتها العلمية وخصائصها المعرفية، وأخيراً معوقاتها وآفاقها. ويشير الباحث في البداية إلى التذبذب في تحديد مكونات مجال العلوم الإنسانية لدى الباحثين العرب المشتغلين بهذه العلوم وفروعها، وهذا التذبذب يعبر بصدق عن أن دلالتها ما تزال غامضة في أذهاننا وممارساتنا العلمية، وقد انعكس ذلك على ضعف ممارسة البحث العلمي القائم على تقاليد وقواعد ملائمة لممارسة البحث العلمي في هذه العلوم، مما أفضى إلى تأخر واضح في هذا المجال من حيث الإنتاج العربي الرصين القائم على الابتكار بدل التقليد لما ينتجه الآخر.

كما ينعت الباحث الوضعية الراهنة لعلوم الإنسان بالوضعية المتأزمة بسبب عقمها وفشلها على المستوى التراكمي المعرفي أو النتائج التطبيقية، والتي ترجع بالدرجة الأولى إلى تجاهل المحيط الجغرافي والاجتماعي والتاريخي الذي تُنقَل إليه هذه العلوم وإغفال الخلفيات الثقافية والأيديولوجية التي تأسست في ظلها.

ويرى الباحث أن الحل المناسب لإشكالية علوم الإنسان يكمن في ضرورة إيجاد حل شمولي للمشكل العام الذي يتخبط فيه الفكر العلمي عامة، وضرورة نهج سياسة تربوية محكمة تقوم على أولوية البحث العلمي في بينات تربوية تعليمية يسودها التخطيط المنهجي والتأطير العقلاني، وغيرهما من الممارسات المساندة لها.

الفصل الثالث. الثورة المعرفية وإشكالية السيكولوجيا في الوطن العربي:

يدعو هذا الفصل إلى إعادة النظر في مسعى علم النفس كما هو متداول في الوطن العربي لصياغته على أسس جديدة تنسجم مع مستجدات التكنولوجيا المعاصرة القائمة على علم النفس المعرفي الذي يعتبر الذهن نوعاً من البرمجة المعلوماتية المستعملة للرموز المجردة، وهو الاتجاه السائد حالياً على خريطة علم النفس.

ومن المشكلات السيكولوجية العربية التي يتطرق إليها هذا الفصل مشكلة التأرجح والهوية، حيث إن السيكولوجيا العربية ما فتئت تتجاذبها تيارات ونزاعات سيكولوجية لا علاقة لها بالواقع العربي، أوقعتها في أزمة هوية عبرت عنها دعوات بعض الكتاب إلى إنشاء مدرسة سيكولوجية عربية. المشكلة الثانية التي عالجها الفصل تتعلق بمشكلة الإبداع والإنتاج الذي لا يزال بعيداً عن تأسيس منظومة سيكولوجية مطابقة لخصوصيات الواقع العربي وطموحاته بسبب الاعتماد على بعض المنظومات السيكولوجية الغربية التي أصبحت في متحف التاريخ. أما المشكلة الثالثة التي يعرضها الفصل فهي مشكلة الاستثمار والتوظيف لاعتمادها أيضاً على سيكولوجية غربية غريبة عن الواقع العربي، حيث يصعب تسخيرها لخدمة قضايا التنمية التي يواجهها الإنسان العربي. ويكرر الباحث نظرته للخروج من هذا الوضع المتأزم عن طريق إعادة صياغة المنظومة السيكولوجية العربية على أسس وقواعد جديدة قائمة على خصوصيات الواقع العربي مع توجيهها نحو الانخراط في الاتجاهات السيكولوجية المعاصرة المتمثلة في ثورة علم النفس المعرفي على وجه الخصوص.

القسم الثاني. مفهوم الثقافة ووظيفتها في الوطن العربي:

يحتوي هذا القسم على ثلاثة فصول تعالج عينة من القضايا المتعلقة بالثقافة في الوطن العربي.

الفصل الأول. الأنثروبولوجيا المعرفية والبحث عن الثوابت الثقافية:

تمحور الحديث في هذا الفصل حول مفهوم الأنثروبولوجيا المعرفية من حيث كونه مشروعاً علمياً لدراسة سيرورات تمثل الألوان والأشياء والكائنات الحية لدى مختلف الشعوب والثقافات، كما تعرض إلى إمكانات الحديث عن أنثروبولوجيا معرفية قائمة على استثمار السيكولوجية المعرفية في دراسة الثقافات الإنسانية والسيرورات الذهنية الكامنة وراء إنتاجها.

الفصل الثاني. مظاهر الثقافة العربية وشروط تحديدها:

انطلاقاً من سياق تزايد الاقتناع بأن الثقافة المطلوبة هي تلك التي يجب أن تهيئ الفرد والمجتمع لمواجهة التحديات الناتجة عن الثورة التكنولوجية والإعلامية، يتناول هذا الفصل مكانة الثقافة العربية من هذه التحديات، ويتعرض بالدرس والتحليل لمظاهرها البارزة وشروط تحديثها وإجراءات تطويرها. ومن خلال أسلوب الاستنطاق الموضوعي الذي اعتمده الباحث في هذه الدراسة للغوص في تاريخ الثقافة العربية، استنتج ثلاث خصائص تميز الثقافة العربية، وهي: التأرجح بين الماضي والحاضر، والتأرجح بين الأصالة والمعاصرة، والتأرجح بين الثوابت والمتغيرات. وقد ختم الفصل بتحديد شروط تحديث الثقافة العربية وإجراءات تطويرها عن طريق رؤية جديدة إلى التراث بإحياء بعض مضامينه المشرقة وتوظيف المنهج العلمي المعاصر وتقنياته الجديدة للمساهمة في بناء الثقافة الإنسانية ذات الطابع الكوني.

الفصل الثالث. واقع ثقافة الطفل العربي وآفاق تنميتها:

يطرح هذا الفصل مجموعة من القضايا المركزية المرتبطة بواقع الطفل العربي وثقافته، وذلك من خلال محورين يشكلان محتوى هذا الفصل. يعالج المحور الأول طبيعة ثقافة الطفل العربي ومحدداتها الأساسية، حيث يشير إلى الأطر المرجعية وبنياتها في المجتمع العربي التي تحفل بالتناقضات الصارخة، تولد عنها تذبذب في الأنظمة التربوية وتنوع في الخلفيات الفكرية والأيديولوجية وانعكست نتائجها على تربية الطفل. وفي ظل هذا الواقع الحافل بكل التناقضات يتعذر توجيه واستثمار الأطفال ومواهبهم، ومن ثم إشعارهم بالانتماء إلى هوية ثقافية عربية تمدهم بالمعارف الثقافية المنسجمة مع طموحاتهم وميولهم ورغباتهم. وينتهي الباحث إلى خلاصة بارزة في ضوء هذا التحليل مفادها أن ثقافة الطفل العربي ثقافة يشوبها الغموض والالتباس في مضامينها ووظائفها وتوجهاتها وآفاقها. وفي ختام الفصل يقترح الباحث مجموعة من الإجراءات التي من شأنها تمكين الطفل العربي من ممارسة ثقافية حقيقية تستجيب في مقوماتها ووظائفها إلى بنيات المجتمع وتحولاته العقلية، وتتلخص هذه الإجراءات في:

1. التوظيف الجيد للغة العربية باعتبارها المحدد المرجعي للهوية الثقافية.
2. إعادة النظر في المناهج التعليمية والبرامج التثقيفية لتنسجم مضامينها وتوجهاتها مع طموح الأطفال وتطلعاتهم.
3. الاعتماد على ثقافة تهتم ببناء شخصية الطفل الوطنية، وتمكنه من التعبير والإبداع، واكتمال هويته الثقافية.
4. ضرورة تحمل كل المؤسسات التربوية مسؤولية رعاية ثقافة الطفل العربي لتحقيق الممارسة الثقافية التي يتطلع إليها الطفل العربي.

القسم الثالث. إشكالية التربية ووظيفتها في الوطن العربي:

يركز هذا القسم على ضرورة الاهتمام بالفكر التربوي، حيث إن نهضة أي أمة من الأمم لا تتم إلا بنجاعة منظومتها التعليمية وفعالية إستراتيجيتها التربوية في مجال إعداد الإنسان

وتأهيله لمواكبة تطورات العصر الحديث، ومواجهة تحدياته الهائلة. وزع القسم إلى ستة فصول تعالج جملة من القضايا المتعلقة بالفكر التربوي العربي من خلال الأسلوب الاستنطاقي التقويمي الذي اتخذه الكاتب في مقارباته على أنه أسلوب للتشخيص والتقويم لمجمل القضايا التي تناولها موضوع هذا الكتاب. وفيما يلي تلخيص مقتضب لمحتويات هذه الفصول:

الفصل الأول - خصائص الفكر التربوي العربي المعاصر ومقوماته الإنسانية:

بدأ الفصل بملاحظة مؤداها أن الفكر التربوي في الأقطار العربية أضحى في الآونة الأخيرة يتخبط في متاهات ودوائر لا متناهية من المشكلات والصعوبات التي تعكس وضعيته متأزمة واضحة المعالم؛ لعدم إيلائه ما يستحقه من عناية واهتمام على مستوى الحلول المناسبة لتجاوز عوامل التردي والحد من التأزم واستفحاله. وقد اختار الباحث عينة من إشكاليات الفكر التربوي العربي المعاصر وزعها على ثلاثة محاور، شكلت مضمون هذا الفصل. في المحور الأول أبرز مجموعة من خصائص وملامح الفكر التربوي العربي المعاصر، مثل الحشو، والإطناب المعرفي الممل في المحتويات والبرامج، وتذبذب السياسة التربوية العربية وتأرجحها بين المواقف المتناقضة، كالدعوة إلى الأصالة، والمحافظة على الموروث الفكري الحافل بالاتجاهات التربوية القيمة مقابل الدعوة إلى المعاصرة والتلمذة على الغرب، وهي مواقف تعمل على تكريس الذهنية الخرافية التواكلية المستهلكة على حساب الذهنية العلمية المستقلة المنتجة. أما المحور الثاني فيتحدث عن مشكلات الفكر التربوي العربي المعاصر ومقوماته البارزة التي تظهر في واقع اقتصادي يكبل انطلاقه، وتركيب اجتماعي يشل حركته، ووضع ثقافي يجذبه إلى الوراء، ويحول جهوده الكبيرة إلى ثمرات جافة.

أما المحور الثالث والأخير فينبه إلى إمكانية إعادة صياغة الفكر التربوي العربي المعاصر على أسس وأهداف جديدة حتى يواكب المنظومات التربوية الحديثة ذات المكانة الرفيعة والوظيفة التنموية الحقيقية ومن ثم تأسيسه من جديد على مبادئ وأهداف يؤطرها مناخ اجتماعي تسوده الحرية والعقلانية والانفتاح التي تشكل الأدوات الضرورية لكل تنوير أو تجديد في هذا المجال.

ولمواجهة رهانات القرن الجديد وتحدياته الهائلة يقترح الكاتب أن يوازن الفكر التربوي العربي بين مجموعة من المبادئ العامة التي تكفل التجديد والرقي بالفكر التربوي العربي إلى مستوى تحديات القرن الجديد ومستحقاته الكبرى، ويذكر من بين هذه المبادئ تحقيق العدل التربوي، ومبدأ المساواة بين الأطفال، وجعل المتعلم محور المنظومة التربوية لتزويده بالمعارف التي تكفل له التعاون مع روح الحداثة والعولمة لاستيعاب مبتكراتها العلمية والتكنولوجية بمختلف مظاهرها المعلوماتية والتواصلية؛ بغرض استثمارها لفائدة المجتمع.

الفصل الثاني - دور التربية ما قبل المدرسية في تكوين شخصية الطفل:

يعالج هذا الفصل أهمية التربية فيما قبل المدرسة، ودورها البارز في تكوين شخصية الطفل، وفي إعداده لتحمل المسؤوليات المستقبلية المنتظرة منه. ويقصد الباحث بمفهوم التربية فيما قبل المدرسة جميع أنواع الرعاية التي تقدم للطفل من الولادة حتى سن التحاقه بالمدرسة الابتدائية، لذلك فهو يعبر عن كل النشاطات والممارسات التربوية والأسرية والمدرسية التي تستهدف تنشئة الطفل وتربيته على الوجه المطلوب.

وتبرز أهمية التربية التي يتلقاها الطفل في هذه المرحلة في تشكيل الإطار المرجعي الأساسي لتشكيل شخصية الطفل، واتجاهاته على المستوى المعرفي والاجتماعي والوجداني بالإضافة إلى اندماجه الاجتماعي وشعوره بالأمن والاستقرار والاستقلال. ومن ثم تشكل عدة مؤسسات اجتماعية كالأسرة ودور الحضانة ورياض الأطفال المحيط الطبيعي والإطار المرجعي الأساسي الذي يستقي منه الطفل مبادئه وقيمه التربوية الأولى التي تعمل على تحقيق نضجه الاجتماعي واتزانه العاطفي وسلامة شخصيته.

ولتسهيل نمو شخصية الطفل وتحقيق حاجاته النمائية المختلفة، يدعو الكاتب في نهاية هذا الفصل إلى ضرورة وضع خطة منهجية محكمة لرعاية الأطفال من شأنها أن تكفل تحقيق هذه الحاجات، وتصل إلى هذه الغايات.

الفصل الثالث. التوجيه التربوي وآفاق التنمية المعرفية:

يعالج هذا الفصل إشكالية التوجيه التربوي في المرجعية التعليمية المغربية والمغاربية، ودور هذا التوجيه في خدمة آفاق التنمية المغاربية المرتقبة. وقد وزعت محتويات هذا الفصل على المحاور الآتية:

أ. مكانة التوجيه التربوي في المرجعية التعليمية المغربية، حيث حدد معنى التوجيه التربوي، ومفهومه، وأهميته، وأهدافه، وأسسه، ثم أساليب تنظيمه وتوظيفه.

ب. مكانة التوجيه التربوي في المرجعية التعليمية المغاربية، حيث عرض وضعية التوجيه التربوي في المؤسسات التعليمية المغاربية، ومن خلال الاطلاع على واقع هذه الخدمات سجل المؤلف تشاؤمه بسبب غياب استجابات حقيقية لأهمية هذه الخدمات وفعاليتها في تقرير المصير الدراسي للتلاميذ.

وقد خلص الباحث من خلال مضامين هذا الفصل إلى أن حضور خدمات التوجيه التربوي وانتشارها في الأنظمة التعليمية المغاربية ما يزال محدوداً مقارنة بخدمات التوجيه التربوي التي تحظى بمكانة مرموقة في الأنظمة التعليمية الغربية.

ويطوي الباحث هذا الفصل باقتراحات وجيهة قوامها بناء استراتيجية واضحة المعالم في مجال التوجيه التربوي تعتمد على تصورات دقيقة في مجال توظيف الخدمات التوجيهية وأهدافها التكوينية والمهنية، والعمل على إعداد الموجهين، وتصميم أدوات التوجيه وفق أساليب علمية حديثة، ومن ثم الاهتمام بالإنسان المغاربي في كل مظاهره وأدواره، وفي علاقاته بمختلف القطاعات التربوية والاقتصادية والاجتماعية.

الفصل الرابع. الأطر المرجعية لظاهرة الفشل المدرسي:

في هذا الفصل يناقش الباحث إشكاليات رئيسية تتعلق بإبراز طبيعة العلاقة بين ظاهرة الفشل الدراسي وبين محيطها العام المتمثل في الأطر المرجعية وفي مقدمتها المدرسة والمجتمع. ويعرض الفصل معطيات تعكس الطابع القومي للفشل الدراسي في المغرب الذي يتوزع بين التكرار والطرد والانقطاع. ويلاحظ أن الفشل لا يمس بشكل عادل مختلف الفئات المكونة للمجتمع المغربي، حيث إن أغلب ضحايا هذا الفشل يتحدرون من الشرائح المحرومة على المستوى الثقافي والاقتصادي. ويعزو الباحث هذه الظاهرة إلى جملة من العوامل منها ما هو خاص بالعملية التعليمية والبيداغوجية (المعلم. الطريقة. البرنامج) ومنها ما هو خاص بالتنشئة الاجتماعية وشروطها المادية والثقافية داخل الأسرة. وقد تطرق الباحث أيضاً بالعرض والتحليل إلى مضامين ومقومات أبرز النماذج التفسيرية لظاهرة الفشل الدراسي، والتي تتمثل في:

. النموذج البيولوجي (يرى أن النجاح أو الفشل يتحدد عن طريق التكوين البيولوجي).

. النموذج السوسيولوجي (الذي يعمل على تهميش الفئات الشعبية المحرومة والاحتفاظ بأبناء الفئات الميسورة).

. النموذج السيكولوجي (يركز على الوسط الاجتماعي للطفل). ويوضح الباحث أهمية العلاقة التي تربط بين الفشل الدراسي والانتماء الاجتماعي، حيث إن القيم التي توجه سلوك الإنسان المغربي تتجلى في جملة من المواقف والأحكام المتعارضة التي تلعب دوراً إيجابياً أو سلبياً في ظاهرة التحصيل الدراسي بشكل عام، ففي حالة توافقها مع القيم المدرسية تدعم ظاهرة التوافق المدرسي، ومن معاينة سريعة لمضامين الثقافة الشعبية المغربية التي تنطوي على قيم ومواقف تمتاز أحياناً بالصرامة، والمرونة أحياناً ثم اللامبالاة أحياناً أخرى، يقرر الباحث أن فشل أبناء الفئات الاجتماعية المحرومة يرجع إلى الصراع الذي يعرفونه على مستوى القيم التي اكتسبوها داخل أوساطهم الأسرية والقيم التي تفرضها عليهم الأوساط المدرسية. ويخلص من هذه المعاينة إلى أن قضية الربط بين الثقافة التقويمية للمدرسة والثقافة الشعبية للأسرة تمثل النهج الصحيح لفهم أسباب الفشل الدراسي في المغرب، بالإضافة إلى الظروف الاقتصادية وظروف الحياة المزرية لأبناء الفئات الشعبية التي تلعب دوراً مؤثراً على الأداء الدراسي لهم.

الفصل الخامس ـ السيكولوجيا اللسانية ومنهجية تدريس اللغة العربية:

يعرض هذا الفصل مجموعة من الأعمال والدراسات السيكولوجية في مجال اكتساب الطفل للغة في شتى مضامينها. وقد جاء الفصل حافلاً بالأسماء اللامعة في علم النفس وعلم النفس اللغوي كبياجي وشومسكي وغيرهما من الذين تصدوا لمثل هذه القضايا السيكولوجية ـ التربوية.

وبالإشارة إلى مظاهر اكتساب الطفل لدلالة بعض الأفعال في اللغة العربية يقرر الباحث أن الدراسات العربية سيكولوجية كانت أم لسانية باءت بالفشل الذريع؛ لغياب التعمق في المضامين التكوينية والمظاهر الدلالية للكلمات التي ينطقها الطفل أو مظاهر تداولها، بالإضافة إلى غياب التطرق إلى عوامل اكتسابها وسيرورات تكوينها ومراحل ارتقائها. وبغرض تقديم نموذج لما يجب أن تكون عليه مثل هذه الدراسات يعرض الباحث لخبرته في هذا المجال من خلال الدراسة التي قام بها حول نمو التمثلات الدلالية لبعض الأفعال في اللغة العربية. دون أن يغفل النواقص التي لاحظها في الدراسات الآنفة الذكر. بل أبرز المظاهر التكوينية لعملية اكتساب هذه التمثلات، وحدد مراحل ارتقائها وسيرورات تكوينها.

وفي ختام هذا الفصل يقترح الباحث أن النجاح في البناء الفعلي لمنهجية تدريس اللغة العربية في المدرسة الأساسية يتوقف على بذل الجهود والتعاون بين الباحثين المشتغلين باللغة في أبعادها النفسية واللسانية والنفس ـ لغوية على وجه الخصوص، بالإضافة إلى ضرورة اقتناع علماء التربية والمسؤولين على تدريس اللغة العربية بالانفتاح على الدراسات النفسية اللغوية من أجل توظيف نتائجها، وإعداد المناهج المطابقة لخصائص اللغة العربية، والابتعاد عن الانطباعات الشخصية في بنائها.

الفصل السادس ـ تشخيص الكفاءات المعرفية وتربيتها:

يناقش هذا الفصل مجموعة من الأسئلة المحورية تتعلق بمفهوم الكفاءات التربوية وأساليب قياسها وإجراءات تشخيصها ومدى إمكانية تربيتها وتطويرها. وقد ركز على موضوع التربية المعرفية التي تسعى إلى تسهيل النمو والاشتغال الذهني لدى الشخص الذي يشكو من نواقص معرفية خاصة، حيث تعمل هذه التربية المعرفية على إيجاد الحلول الملائمة لمشاكل التكيف والتأهيل التي يواجهها الراشد في حياته المهنية. ولأهمية هذه التربية فقد أسهب الكاتب في الحديث عن مبادئها وفعالية برامجها وأشكالها وأسسها.

والفصل في مجمله ركز على إشكالية تشخيص الكفاءات للأشخاص ذوي الصعوبات على الصعيد المعرفي، وأهمية التربية المعرفية في مجالات التعليم والتكوين والتأهيل والتشغيل والتوجيه والإرشاد، ثم التكيف والإدماج، مما جعل الكاتب يدعو إلى المراهنة على توظيف التربية المعرفية باستثمار طرقها ومناهجها في شتى مجالات الحياة اليومية، وخاصة تلك التي ترتبط بالأنشطة المدرسية والمهنية.

ومما يلاحظ على هذا الفصل أنه جاء حافلاً بمصطلحات لا يفقهها إلا ذوو الاختصاص في مجال علم النفس بصفة عامة، وعلم النفس المعرفي بصفة خاصة، وذلك مثل دراسة السيرورات (مقابل الأداءات)، الوظائف المعرفية العليا، الميطامعرفية والميطامكونات، خطاطة أشكال الوساطة، البناءات المعرفية.... على أن ذلك لا ينقص من مستوى الفصل شيئاً، خاصة إذا علمنا أن الكتاب موجه في أصله إلى المثقف العربي الملم بأساسيات علوم التربية، وعلم النفس على الوجه الخصوص.

ملاحظات نقدية:

العمل الذي قمنا بقراءته قراءة متواضعة لتقديمه للقارئ، يُعد محاولة جادة ورصينة تنم عن خبرة المؤلف وقدرته البارعة على تشخيص المشكلات والقضايا المرتبطة بمجالات العلم والثقافة والتربية من الواقع المعيش للعالم العربي الذي يتخبط في أزمات متتابعة الحلقات متعددة الأوجه ومتشابكة الأبعاد. لقد وفق الكاتب في تقديم رؤية موضوعية لتلك العينة من قضايا العلم والثقافة والتربية التي لا تزال أقطار الدول العربية تتخبط في متاهاتها، وقد عرض كل ذلك بأسلوب علمي بسيط ورصين يجعل عقل القارئ يسير في دروب وثنايا صفحات الكتاب في يسر

ووضوح (باستثناء تلك الصفحات التي احتوت مصطلحات فنية متخصصة. والتي أشرنا إليها في نهاية عرضنا لأفكار الفصل الأخير من الكتاب). وقد كان في مقدور الكاتب توضيح مضامين تلك المصطلحات ولو بإيجاز، لولا أنه قد يكون وضع في ذهنه شريحة متخصصة يفترض سلفاً أنها ألفت هذه المصطلحات، واستوعبت معانيها، وأحسنت استخداماتها في ميدان علم النفس المعرفي على وجه التحديد. ومع ذلك، يقدر للكاتب جهده الكبير لهيكلة النص بطريقة واضحة، وجمع مادته العلمية بشكل مرتب متسلسل الأفكار، أو في إفادته الطيبة من المصادر التي اعتمد عليها، وقد جاءت بلغات ثلاث (العربية. الفرنسية. الإنجليزية)، وهي مصادر حديثة في مجملها مرتبطة محتوياتها بموضوع الكتاب الحالي.

على أنه لا يفوتنا التنبيه إلى مجموعة من الأخطاء المطبعية التي وردت متناثرة في ثنايا الكتاب، وإن كانت لا تؤثر قيد أنملة على قيمة الكتاب العلمية.

ومجمل القول فإن الكتاب يحمل في طياته دعوة مخلصة للمشتغلين بقضايا العلم والثقافة والتربية في العالم العربي لتوحيد الجهود والطاقات من أجل مواكبة الثورات العلمية والتكنولوجية والتقدم الهائل والمتسارع في مجالات العلم والتربية لخدمة المشروع الحضاري العربي المعاصر، وتمكينه من مواجهات تحديات تلك الثورات من أجل التعايش معها في ظل فلسفة الأخذ والعطاء والاستهلاك والإنتاج حتى ينطلق في السير نحو أفق أكثر تقدماً ورقياً، وليودع بعد ذلك أداء التخلف وطاعون الانحطاط. على حد تعبير ابن خلدون، وهو يصور واقع المسلمين في عصره.

إصدار جديد

الدكتور محمد جواد رضا

العرب والتربية والعالم

سلفية التربية أم مستقبلية الإنسان في سباق الأمم إلى مواقع القوة

الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية